



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِينَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

العدد الواحد والتسعون / السنة الثانية والخمسون

جمادى الأولى - ١٤٤٤ هـ / كانون الأول ٨/١٢/٢٠٢٢ م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>



المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية
باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: الواحد والتسعون السنة: الثانية والخمسون / جمادى الأولى - ١٤٤٤هـ / كانون الأول ٢٠٢٢م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق
الأستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور مقداد خليل قاسم الخاتوني	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتورة غادة عبدالنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور كلود فينثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير :

التقويم اللغوي: م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ اللغة العربية
م.م. عمّار أحمد محمود	— مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية

المتابعة:

مترجم. إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

. <https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup>

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

. <https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login>

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .

• تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال - إن اختلف الخبيران - إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .

• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

• يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجته النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدّات فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلّتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فافتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٢٤ - ١	الشواهد القرآنية في التوجيه اللغوي للقراءات عند الدمياطي (ت ١١١٧هـ) في كتابه: (إتحاف فضلاء البشر) - دراسة تحليلية - كلاله أحمد كلالتي و عبد الستار فاضل خضر
٤٨ - ٢٥	التوظيف القرآني للإنسان في ديوان (سماء لا تُعنون غيمها) دراسة دلالية أسامة أنور عبد الكريم دبان و محمد محمود سعيد
٧٤ - ٤٩	إعراب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) للشيخ محمد قناوي من علماء القرن الثاني عشر من الهجرة تحقيق ودراسة صلاح الدين سليم محمد أحمد
١١٠ - ٧٥	منهج ابن آدم البالكي (ت ١٢٣٧هـ) في كتابه: مصباح الخافية في شرح نظم الكافية ومصادره ودواعي تحقيق كتابه مع تحقيق نتفة من باب تنازع العوامل دنيا محمد طاهر و صباح حسين محمد
١٣٦ - ١١١	الاستلزام الحوارى لدى غرايس دراسة لنماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علاهاني صبري و عبدالله خليف خضير
١٥٤ - ١٣٧	إحلال الظاهر موضع ضمير الرفع المستتر دراسة نحوية دلالية في كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ٦٧٦هـ فاتن سالم محمود ورحاب جاسم العطوي
١٧٦ - ١٥٥	الاستلزام الحوارى في أساليب رواية (سر الشارد) لعبدالله عيسى السلامة زياد طارق الحاصود و أحمد عدنان حمدي
٢٠٤ - ١٧٧	الخوف من المكان في الشعر الأندلسي - القرن الخامس الهجري - رغدة بسمان الصائغ و فواز أحمد محمد صالح
٢٢٤ - ٢٠٥	قصيدة الومضة مقاربة في ديوان (قصب يسعى أن يكون نايًا) ديوالي حاجي جاسم
٢٤٠ - ٢٢٥	المفارقة في المجموعة القصصية (مغامرات سندباب) لأحمد جار الله ياسين غسان عزيز رشيد الطائي
٢٦٨ - ٢٤١	الخلاف في رسم الألف بين البصريين والكوفيين وأثره على المحدثين محمد صديق صالح
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٢٨٨ - ٢٦٩	الرتب العسكرية العليا في الدولة المملوكية بالاستناد الى كتاب (الواقي بالوفيات) للصفيدي (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) نهال عبد الوهاب وناصر عبد الرزاق عبد الرحمن
٣١٠ - ٢٨٩	قانون الوثام المدني في الجزائر ١٩٩٥ محمد حسين دويل وسعد توفيق عزيز البزاز
٣٢٨ - ٣١١	شريط أوزو الحدودى والصراع الليبي - التشادي (١٩٧٣-١٩٩٨) أنسام أديب الضاحي و مجول محمد محمود

٣٥٠ - ٣٢٩	تجارة الحنطة في العراق العثماني ١٧٠٠- ١٩١٤ م غسان وليد مصطفى الجوادِي
٣٦٨ - ٣٥١	الواقع الاجتماعي للمرأة البدوية في العراق من خلال كتابات الرحالة في العهد العثماني سجى قحطان قبع
٣٨٤ - ٣٦٩	فتوة الحرافيش والزعار والعياق في مصر في عصر سلاطين المماليك وتأثيرهم في المجتمع شهم فالح حميد السلطان
بحوث علم الاجتماع	
٤٢٦ - ٣٨٥	العلاقة بين الفساد والجريمة المنظمة نموذج معاصر لجرائم الياقات البيضاء - دراسة اجتماعية تحليلية - أحمد عبد العزيز عبد العزيز
٤٥٠ - ٤٢٧	أسباب اختلال الامن الاقتصادي (الفقر انموذجاً) دراسة نظرية أميرة وحيدة خطّاب و شلال حميد سليمان
٤٧٨ - ٤٥١	دور الحكّمين في قضايا الشقاق حماية للأسرة من الطلاق دراسة وصفية تحليلية ميدانية على محاكم مدينة البيضاء وضواحيها عبد العاطي فرج علي الفقيه
بحوث الفلسفة	
٤٩٦ - ٤٧٩	العلية الغائبة في فلسفة ابن رشد سامي محمود إبراهيم
بحوث الشريعة والتربية الإسلامية	
٥٣٢ - ٤٩٧	أثر ضروي حفظ المال في الشريعة الإسلامية على أموال غير المسلمين فراس فياض يوسف
٥٨٠ - ٥٣٣	التعليل بالحاجة عند الفقهاء وتطبيقاتها في المعاملات المالية سعود أزهري عبدالله
بحوث المعلومات وتقنيات المعرفة	
٦٠٢ - ٥٨١	التكسونومي الوجهي وتطبيقاته في محركات البحث للمواقع الإلكترونية في الجامعات العراقية : دراسة تحليلية عبد القادر أحمد علي الشعباني
بحوث علم النفس وطرائق التدريس	
٦٣٤ - ٦٠٣	السمات الشخصية لدى طلبة جامعة الموصل مكة نائير الدبوني وصبيحة ياسر مكطوف
بحوث المخطوطات	
٦٥٤ - ٦٣٥	الصورة الجمالية في المخطوط العربي مهدي محمد علي كصبان

الخوفُ من المكانِ في الشعرِ الأندلسيِّ

– القرن الخامس الهجريّ –

رغدة بسمان الصائغ * وفواز أحمد محمد صالح **

تأريخ القبول: ٢٠٢١/٧/٣

تأريخ التقديم: ٢٠٢١/٦/٣

المستخلص:

يشكل المكان عنصراً مميّزاً ومؤثراً في تشكيل الشعر؛ وذلك لما له من تأثيرات وانطباعات تنعكس على نفسية الشاعر، فتثير فيه مشاعر الارتياح والبهجة، أو عكس ذلك؛ إذ يبعث المكان الشعور بالضجر والنفور.

الشعراء الأندلسيون كغيرهم تحسّسوا من بعض الأماكن وتشكل لديهم موقفاً عدائياً يثير الخوف ويبعث الفرع في نفوسهم، وقبع قسم من الشعراء تحت وطأة السجون فعاشوا التجربة بكل تفاصيلها ومخاوفها فحمل السجن دلالات سلبية، ولدت حالة من الخوف والنفور منه، أما القبر فكان يذكرهم بمصيرهم القادم فيستحضر في بالهم ظلمته وعذابه ووحشته فيثير مشاعر الخوف، كما أنّ أطلال المدن المهدامة بفعل الحروب هيجت مشاعر الخوف في نفوس الشعراء بوصفه رمزاً للفقْد والزوال، فلم تكن هذه الأماكن مجرد أحجار أو أماكن للمرور بها، بل حملت مواقف تفاعل الشاعر معها وخلقت حالة نفسية متأزمة من خوف وتوتر وكرهية، فترجموا ذلك بقصائد مشحونة بالعاطفة؛ لذلك جاء شعرهم صورة لانفعالاتهم وأحاسيسهم تجاه المكان.

واتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي بتحليل أبرز الظواهر اللغوية والفنية للوصول لمقاصد الشاعر فقام البحث بدمج الدراسة الفنية مع الدراسة الموضوعية في إطار واحد بغية الوصول إلى رؤية شمولية عن موضوع المكاني في الشعر الأندلسي.

* طالبة دكتوراه/قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

** مدرس/ قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

والغاية من البحث:

١- الوقوف على النماذج الشعرية التي صورت إحساس الشاعر تجاه الأماكن الباعثة على الخوف، والبحث عن إجادته في توظيف اللغة والأساليب والصور الشعرية.
الكلمات المفتاحية: الخوف من المكان ، الخوف من القبر، الخوف من السجن، الخوف من الطلل.

علاقة الشاعر بالمكان:

للمكان حضور قوي وفاعل في النفس الإنسانية؛ إذ يرتبط بوعي الإنسان منذ صغره، فيحتفظ في ذاكرته العديد من الذكريات والانفعالات المرتبط بالمكان، وتظل محبوسة في ذاكرته حتى يجد له المتفلسف،^(١) وكان الشعر أحد سبل التفريغ عن هذه الانفعالات. والأنتسان يحس بالأماكن وينسجم معها أو ينفّر منها، فهي ((من أهم العناصر التي يوجه إليها الإنسان مشاعره سواء أكانت مشاعر ألفة أم مشاعر معادية فهي تخضع للوضع الفكري والنفسي الذي يعاني منه الإنسان، وزيادة على ذلك فإنّ الموقف من المكان متأث من قيمة المكان وما يثيره من أحاسيس ومشاعر في وعي الشعراء بوصفهم أكثر الناس حساسية تجاه البيئة المحيطة بهم))^(٢)

وعلاقة الإنسان بالمكان علاقة تأثير متبادل، فكما يترك الإنسان أثراً في كل زاوية من المكان، ثم يعود المكان ويمارس تأثيره في الإنسان، فهناك أماكن جذابة تساعد الإنسان على الاستقرار ، وهناك أماكن طاردة تلفظه عنها^(٣) فبحكم هذه العلاقة بينهما تتضح علاقة المكان بالشعر، فالشعراء هم أكثر تحسناً من غيرهم بطبيعة الأشياء، فمن الممكن أن يصبح للمكان دوراً مؤثراً في العمل الأدبي فيكون له دلالة تحاكي شيئاً ما في

(١) ينظر: الرواية والمكان، ياسين النصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد -العراق، د.ط، د.ت، ج٢:

(٢) المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ)، دار غيداء، الأردن، د.ط، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م: ١٠٥

(٣) ينظر: صورة الآخر في الشعر الأندلسي والمغربي، أ.د. أحمد حاجم الربيعي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، د.ط، ٢٠١٨: ٣٢٧

نفسية الأديب^(١) مثلاً كثيراً ما كانت الطبيعة الزاهية من مروج وبساتين تبعث البهجة والسعادة لنفسية الشاعر، وفي المقابل كانت بعض الأماكن القفرة والمغلقة غير المألوفة باعثاً للخوف والنفور منها، فترجموا ذلك بقصائد مشحونة بالعاطفة، لذلك جاء شعرهم صورة لانفعالاتهم واحاسيسهم تجاه المكان ، ونقسم دراستنا للخوف المكاني إلى :

أولاً الخوف من القبر:

الإنسان دائماً في خوف مما سيؤول إليه في قبره، ولاسيما عندما يشعر بدنو أجله، وفيه ((ابتلاء والفتنة والسؤال))^(٢) فالإنسان بوفاته تنتهي رحلته المكانية في الدنيا، ولكن ((حياة الإنسان لا تنتهي وتتقطع بالموت، وإنما الأمر انتقال من حياة إلى حياة من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة))^(٣) وأولى مراحل هذه الحياة القبر ومن الطبيعي أن يخاف الإنسان من القبر وفتنته كيف لا؟ والرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: ((ما رأيت منظرًا قط إلا القبر أفزع منه))^(٤) فإنّ القلب ليرتعب، والجسم ليرتجف، ولتصك الأضلاع عند سماع الحديث، فما وجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من منظر مرعب إلا والقبر أفزع بوحده وضيقة، وما به من عذاب.

فالشاعر المسلم كان دائم في التفكير بالقبر والرهبنة منه، ((هو مرحلة من مراحل الوحدة والوحشة، حيث لا سمير ولا رفيق، حيث جميع الناس منشغلون في أمور

(١) ينظر: الرواية والمكان ، ج ٢ : ٢٠

(٢) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه، ونبه على أرقامها في كل حديث: محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة السلفية، د.ط، د.ت، ١١ / ٥١

(٣) الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين:، د. منجد مصطفى بهجت، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦: ٤٠٤ .

(٤) الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، ت: بشار عواد معروف، دار

الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م: ٤ / ١٣٠

دنياهم))^(١) و الشاعر ابن حزم(ت ٤٦٥هـ) قد صور لحظة مفارقتة للأهل والركون إلى القبر، فيقول:^(٢)

- ١- كَأَنَّكَ بِالزُّوَارِ لِي قَدْ تَبَادَرُوا
 - ٢- فَيَا رَبِّ مَحْزُونٍ هُنَاكَ وَضَاغِكَ
 - ٣- عَفَا اللَّهُ عَنِّي يَوْمَ أَرَحَلُ ظَاعِنًا
 - ٤- وَأَتْرِكُ مَا قَدْ كُنْتُ مُعْتَبَطًا بِهِ
 - ٥- فَوَا رَاحَتِي إِنْ كَانَ زَادِي مُقَدَّمًا
- وقيل لها أودى علي بن أحمد
وكم أدمع تدرى وخذم خدد
عن الأهل محمولاً إلى بطن ملحد
وألقي الذي آتست دهرًا بمزدد
ويأ نصبي إن كنت لم أتزود

تظهر الحالة الانفعالية والنفسية للشاعر، فهو شديد الخوف من مصيره في القبر ، ودائماً في ذكره فصور مفارقتة للحياة، ويتضح ذلك من خلال افتتاح أبياته بأسلوب الدعاء(عفا) والذي خرج للدعاء المكمل بالرهبة والفرع من الموت وما سيلقيه بعد موته، فتضرع لله تعالى لينجيه ويعفو عنه، كما جاءت (ظاعنا) تجسد أسفه وحسرتة على انقضاء عمره سريعاً دون أن ينتبه لذلك ويعد له العدة.

وما يعمق شدة الحزن والألم هو مفارقتة للأهل ، (يوم الموت) متى سيكون، فليس منا من يدري متى يومه؛ لذلك جاءت لفظة (يوم) منكرة لتشمله و تشمل غيره، و كذلك ما يخيفه ما بعد الموت اللحد و ظلّمته لذا يطلب عفو الله تعالى ، وقابل الشاعر في البيت الثاني بين ما كان متعلقاً به في الحياة وما سيكون عليه، ومصيره معلق بين احتمالين: الأول: الراحة والهناء إن كان عمله صالحاً، ونجد الشطر الأول(فو راحتي إن كان زادي مقدماً) افتتح ب (وا) الندبة التي عكست انفعاله في لحظة قوله البيت وما يعاني من ألم وحزن، وليس ندبه لمصيره. والاحتمال الثاني: خوفه مما قد يتعرض له(يا نصبي إن كنت لم أتزود) فالنداء هنا خرج للتفجع والتحسر ؛ وذلك لعدم تجهزه لهذا اليوم.

(١) فلسفة الحياة والموت في الشعر الأندلسي، د. مقداد رحيم، مجلة الأستاذ، ع/٢٠٧، مج /١،

١١٦ - ١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م : ١١٦

(٢) ديوان ابن حزم الأندلسي(ت ٤٦٥هـ) تحقيق: عبد العزيز إبراهيم، دار صادر، بيروت- لبنان، ط١،

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ٥٨، (ق: ٤٥)

واستعمل الألفاظ (أرجل، ضاعاً، محملاً، ملحد) وهذا الألفاظ تخلق جواً من الحزن والخوف، وأسهمت قافية الدال المكسورة في الإفصاح عن حالته الانفعالية إذ جسدت الكسرة بدلالاتها على الصغر واللفظ^(١)، حالة الخضوع والذل الذي تنتاب الشاعر لوجه من القبر، فضلاً عما يحمله صوت الدال من شدة تناسب حالة الضيق والشدة التي يعانيتها وهو يفكر بالقبر، فأظهرت الأبيات مسلماً دينياً في خوفه من الموت والقبر ما بعد الموت وما سيلقيه من شقاء أو نعيم .

وقد نغصّ الخوف من القبر حياة الشاعر ابن عبد البر القرطبي، فجسد ذلك قائلاً^(٢) :

وَأخُو الْعِبَادَةِ دَهْرُهُ مُتَنَغَّصٌ يَبْغِي التَّخْلُصَ مِنْ مَخَافِ قَبْرِهِ

يعيش الشاعر حالة من الخوف من الموت والقبر أوجزها من خلال قوله (دهره متغصص) فقد كدر الخوف والتفكير بالقبر حياته وأفسدها فبريد الخالص من هذا الخوف، كما نلاحظ أنّ لفظة الخوف جاءت بصيغة الاسم المجموع (مخاوف) ليدل على عظمة القبر وهيبته، وتعدد مخاوفها في ظلمته ووحشته و عذابه التي أشار إليها الدين الإسلامي.

ومما أثار خشية الشعراء فتنة القبر وسؤال الملكين للميت واختباره، فإن أجاب فقد نجا، وإن فشل فيعذبه ربه عذاباً شديداً، فالحصري القيرواني (ت ٤٨٨هـ) كتب قصيدة بعد وفاة ابنه عبد الغني، يسأله عن حاله وهو في عالم الموتى، فيجيبه بأنه ويحذر والده من فتنة القبر المخيفة التي لا ينج منها إلا المؤمن المخلص بطاعة الله تعالى؛ لذلك يدعو والده للعمل الصالح، قائلاً^(٣) :

٢٧- سَأَلْتُ حَبِيبَ النَّفْسِ أَيْنَ مَكَانُهُ إِذَا نُشِرَ الْمَوْتَى وَأَيْنَ مَكَانِي

٢٨- فَقَالَ مَكَانِي حَيْثُ جِئْتَ بَجَنَّةٍ مَذَلَّةٍ مِنْهَا الْقَطُوفُ دَوَانِي

٣٠- وَ يَا أَبْتَ أَحْذَرُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ إِنَّهَا

(١) ينظر: في سيمياء الشعر العربي دراسة نظرية وتطبيقية: محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء-

المغرب، د.ط، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م: ٦٨

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي الفقيه المحدث والعالم الأديب الشاعر الحكيم، عبدالله

بن سعد الرويشد، مجلة الدارة، ع ٢/س/ ١٣، ١٤٠٨هـ: ٣٧

(٣) أبو الحسن الحصري القيرواني (ت ٤٨٨هـ)، تحقيق: محمد المرزوقي، و الجيلاني بن الحاج، مكتبة

المنار، تونس، د.ط، ١٩٦٣م: ٣٧٦.

- ٣١- وَ يَا أَبَتِ اعْمَلْ لَسْتِ عَنِّي جَارِيًا
وَ لَا عَنكَ أَجْزِي غَيْرُ شَأْنِكَ شَانِي
- ٣٢- وَ يَا أَبَتِ أَتْلُ الذُّكْرَ حَسْبُكَ وَاعْظًا
تَدْبُرُ آيٍ فُصِّلَتْ وَ مَثَانِ
- ٣٣- وَ يَا أَبَتِ اسْتَيْقِظْ فَإِنَّكَ نَائِمٌ
وَ يَا أَبَتِ اسْتَعْجِلْ فَإِنَّكَ وَانٍ

تقمص الحصري دور الناصح المرشد من خلال المشهد الحواري بينه وبين ابنه المتوفي، فيبدأ الشاعر الأبيات بالحوار فيسأل ابنه عن مكانه ومكان الشاعر فيجيبه مكانه -الشاعر- لا يعرفه لكن مكان الابن في الجنة حيث قطوفها الدانية، فالتساؤل يوحي بنفسيته الخائفة على مصير ولده، يتحوّل الحوار فينتقل الابن من متلقٍ للخطاب إلى مرسل له، والأب العكس، فأول ما يحذر منه الابن -المتوفي- والده بعد أن غادر الحياة فتنة القبر وهذا يدل على عظمة القبر وشدة رهبة الشاعر منه مما دعاه إلى تنبيه المتلقين على لسان ابنه من عذاب القبر و فتنته فهي مرعبة لكل من لم يجتهد بالعمل الصالح، ثم يستمر الابن وينصح بالعمل الصالح والذكر وتمعن آيات القرآن.

فبرز خوفه من القبر بأسلوب التحذير والنصح الذي أتبعه ، كما نلاحظ تكرار أسلوب النداء (يا أبت) وذلك؛ لتنبيه المتلقين وجذبهم إلى هول عذاب القبر، فضلاً عن تكرار الأساليب الطليبية، فتكرار الاستفهام (أين) جاء يعكس الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر بين حزنه لوفاة ابنه، وجزعه وخوفه من مصيره بعد موته، وكذلك تكرار أسلوب الأمر (احذر، اعمل، تدبر، أتل، استيقظ، استعجل) وهو يناسب موضوع التحذير والنصح الذي اتبعه الشاعر.

فحمل هذا الحوار دقات شعورية أراد من خلالها التعبير عن خوفه من الموت والقبر، وتنبيه المتلقين؛ لذلك وتوجيههم نحو العمل الصالح وترك ملذات الدنيا، ومما يلاحظ تكرار الكسرة بشكل لافت فأسهمت في تكثيف دلالة الانكسار والضعف الذي يعيشه الشاعر.

والإيبيري(ت ٤٦٠هـ) عندما ((يتذكر الموت تتنابه نوبة من الرهبة والوجل أمام ما سيلاقيه من مصير، فترتسم أمامه ظلمة القبر ووحشته في وحدته، فلا مال يغنيه ولا ولد

يواسيه،))^(١) لذا يستغرب كيف لم نتعظ من القبر، فهو موعظة ونصح لذوي الألباب، إذ يقول^(٢):

- ٦- ما أوعظَ القَبْرَ لو قَبِلنا
 ٧- يُوجي إلى مُمتطي الحشَايا
 ٨- نسيت يومي وطول نومي
 مَوْعِظَةُ النَّاطِقِ الصَّموتِ
 مَالِكٌ مِنْ مَضْجَعِي عَمِيَتْ؟
 وَسَوْفَ تُنْسِي كَمَا نَسِيَتْ

تعجب الشاعر من أمر الناس كيف لعافل لا يتعظ من القبر، هو الناطق بصمته ووحشته، فالقبر يوجي بالرهبة والعبرة نتيجة لما يحدثه الموت في نفوس الناس من خوف ورعب^(٣)، فالأبيات استنكار لعدم تحوّل هذه الرهبة من القبر والموعظة لسلوك ينجيه من وحشة القبر، فيشخص الشاعر من القبر إنساناً يخاطب الموتى ويوبخهم لغفلتهم عنه، وينبئهم بمصيرهم بعد الموت أنهم سوف يصبحون في طي النسيان كما نسوا هم القبر والحساب، فالاستفهام خرج لمعانٍ مجازية منها التوبيخ، وورد وصفه للقبر بصيغة الاسم المضعف (الصّموت) ليدل شدة الصمت ووحشته، فيبعث الرهبة في النفوس، ولكن هذا الصمت الرهيب ينطق بوحشة القبر وظلمته، ووظّف في أبياته جل حروف الجهر وكررها وأراد أن يعبر عن حالة الضيق، وانقطاع النفس التي تلازمه لخوفه من القبر والحساب والتفكير به من خلال الأصوات؛ لأنّه يصاحب النطق بها انحباس مجري النفس لقوتها في النطق^(٤)، وانقطاع النفس وانحباسه من أبرز دلائل الخوف.

(١) الزهد في شعر أبي إسحاق الإلبيري، مذكرة ماجستير للطالب وحدي عبد الحميد، جامعة محمد

خضر-مسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجمهورية الجزائرية، ٢٠٠٨-٢٠٠٩: ٨٠.

(٢) ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر

العاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر دمشق-سورية، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م: ٦٢-٦٣

(٣) ينظر: دراسات نقدية تحليلية في الشعر العربي الأندلسي، د. محمد عويد السايير، منشورات كلية

التربية الإنسانية، جامعة الأنبار، العراق، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م: ٥٧

(٤) فقه اللغة: د. حاتم صالح الضامن، مركز جمعة للثقافة والتراث، بغداد- العراق، د.ط، ١٤١١هـ-

والقبر مقترن بالصمت والرغبة ويرسم في أعماقنا حالة من الجمود والسبات والخوف (١) ((فما بالك بالشاعر صاحب المشاعر المرفهة، والعواطف البسيطة التي تتأثر لأي موقف ، فيثير شجوها وشجنها فقد ظلت فكرة الموت تلاحقه لإدراكه حتمية هذا الأمر الذي تجعل الحياة يقيناً لا مفر له)) (٢) فقد راع صمت القبر ووحشته ابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ) وأقلقته فكرة الغياب التي يتعرض لها في قبره فيُنسى، فيذكر الشاعر الموت و أهواله، وحاول أن يزرع في النفوس الرهبة من الموت ؛ ليعدهم عن سخط الدنيا و زلتها فلا أمان فيها طالما طريقها موصل للموت ، فيقول (٣) :

- ١- أَلَا صَمَّتِ الْأَجْدَاثُ عَنِّي فَلَمْ تُجِبْ وَلَمْ يُغْنِنِي أَنِّي رَفَعْتُ بِهَا صَوْتِي
٢- فَيَا عَجَباً لِي كَيْفَ آتَسُّ بِالْمُنَى وَغَايَةَ مَا أَدْرَكْتُ مِنْهَا إِلَى قَوْتِ
٣- وَهَلْ مِنْ سُرُورٍ، أَوْ أَمَانَ لِعِاقِلٍ، وَمُفْضَى عُبُورِ الْغَابِرِينَ إِلَى الْمَوْتِ

تسيطر الرهبة والدهشة على هذه الأبيات، وهو يتذكر الصمت الرهيب الذي ينتظر الإنسان في قبره، فلا يغني أن نرفع صوتنا ونكلمه، فأبي وحشة يعيشها الإنسان وهو غافل عنها!.

لذا جاء ب (ألا) الاستفتاحية ، لتنبه المتلقي إلى القبر وهوله، وتحذيرهم من سوء غفلتهم عنه، والشاعر متعجباً مستكراً كيف نسي الموت وفات عنه ذلك، واطمأن للحياة، وارتفعت نبرة الشاعر من هول الموقف فيوظف الاستفهام الاستكاري (هل) فينكر السرور والأمن في الحياة فالإنسان ينتظره مصير محتوم هو الموت والإقامة في القبر، والحياة محطة عبور تنتهي إلى الموت فالأولى التزود وعدم التعلق بزيها، و تكرار حروف الجر قد شكَّلت ظاهرة واضحة في الأبيات فتكرار (إلى) مرتين؛ يحمل تأكيداً

(١) ينظر: الحياة والموت في الشعر الأندلسي عصر المرابطين حتى نهايات الحكم العربي، ٤٨٤هـ -

٨٩٧هـ، أطروحة دكتوراه، دراسة تحليلية نقدية، فائزة رضا شاهين العزاوي، كلية التربية بجامعة تكريت،

١٤٣٤هـ-٢٠١٣م: ١٢٩

(٢) أبحاث ودراسات في الشعر الأندلسي وبلية (ابن هذيل التجيبي الغرناطي) محمد عويد محمد السائير،

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت: ٥٧

(٣) ديوان ابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ)، تحقيق: د. السيد مصطفى غازي، دار المعارف، الاسكندرية-مصر

د.ط، ١٩٦٠م: ٣٠٩، (ق: ٢٤٢)

لحتمية الموت والفوات، بينما الحرفين (عن ، واللام) ارتبطاً بحديث الشاعر عن نفسه، فحملت في ثناياها معنى التجاوز لذلك الصمت الرهيب وتأكيد على رهبة القبر والموت، كما جاءت القافية بحرف الروي التاء المكسورة وهو حرف مهموس وشديد^(١) يُناسب حالة الحزن والخوف والتي يعيشها الشاعر.

ثانياً: الخوف من السجن

ويرجع بروز هذا اللون من الخوف إلى ((الصراع السياسي واشتراك الشاعر في الحياة السياسية وتقلباتها، وامتزاج السياسة والشعر في شخصية واحدة، واضطراب حبل الأهواء من حال إلى حال))^(٢) ، زيادة في ذلك يمكن أن نرجع بروز هذا اللون من الخوف ، إلى المؤامرات وسعائيات الحساد والوشاة والتنافس على هبات الأمراء مما يدفع الحساد إلى الإيقاع بالشعراء واللقاء بهم في غياهب السجون ، فضلاً عن الجرائم الدينية والديوية التي توجب ادخال مرتكبيها السجن.

ولعلّ من أصعب ما يمر به الإنسان، تلك الأيام التي يتجرع فيها الذل، ومرارة الحرمان، وفقدان الحرية، ويقبع في مكان مغلق يسلب الفرد حرّيته، ويعمق عزلته؛ لانحساره في مكانٍ ضيقٍ، بعيداً عن الأهل فيعيش صراعاً مع نفسه، ويشعر بالخوف المستمر.

ولعلّ من أصعب ما يمر به الإنسان، تلك الأيام التي يتجرع فيها الذل، ومرارة الحرمان، وفقدان الحرية فيعيش حالة من الخوف و الفزع المستمر، يولدها شعوره بعزلته عن العالم الخارجي، وإخضاعه للرقيب المستمر، ومصادرة إرادته

وعلى الرغم من أنّ ((السجن يعد فضاء شديد الانغلاق ويصادر الحرية، إلا أنه قد يصبح مكاناً لانتفاخ الخيال))^(٣) إذ يبحث فيه السجين عن متنفس لما يعانيه ((فهو في

(١) ينظر، فقه اللغة: ١٤٩

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس، مصر - القاهرة، ط١، ١٩٦٠م: ٧٨

(٣) حركية الفضاء في الشعر الأندلسي، نصوص ابن زيدون أنموذجاً د. مثنى عبدالله المتيوتي، دار

مجدلاوي، عمان -الأردن، ط١، ٢٠١٣م: ٨٨

حالة من الحرمان الحسي من الداخل ويحاول أن يعالجها معالجة ذاتية لا يدرك وقعها إلا من ذاق مرارة ذلك الإحساس^(١)؛ لذا نجده ينتج فيه شعراً يصور عالم السجن، بكل ما فيه من معاناة، وألم، وحرمان، وخوف، ويبث فيه ما يختلج في نفسه من انفعالات، وما يدور في ذهنه من أفكار، وهو يكابد ألم السجن^(٢) فيصبح الشعر وسيلة لوصف الهموم النفسية، وما ينتاب النفس من انفعالات متضاربة، وللاستعطف .

ويعد الشعور بالغربة من أهم المشاعر التي تعترى السجين، وهذا بفعل السجن الموحش المخيف، وهو جزء من الأثر النفسي الذي تبعثه رهبة المكان، فقد رأوا الشعراء عامة أن تجربة السجن عامة عامل في هدم الذات الإنسانية؛ لأنه يصادر حرية الإنسان^(٣) فعانوا من الوحدة والعزلة، والشاعر ابن شهيد(ت ٤٢٦هـ) عانى ذلك فساق مشاعره، وأحاسيسه في ظلمة السجون عبر أبياته التي امتزجت فيها مشاعره بالخيال، فهول السجن والأجواء النفسية التي عاشها تحت وطأة القهر والظلم، جعلته يعيش حالة من الاغتراب والخوف، ويطلق صرخات الجزع لعلّه يسمعه شخص ما، فيقول^(٤) :

- ٦- فَمَنْ مَبْلَغُ الْفَتَيَانِ إِتَى بَعْدَهُمْ
مُقِيمٌ بَدَارِ الظَّالِمِينَ، وَحِيدٌ
٧- مُقِيمٌ بَدَارِ سَاكِنُوهَا مِنَ الْأَدَى
قِيَامٌ عَلَى جَمْرِ الْجَمَامِ فُعُودٌ
٨- وَيُسْمَعُ لِلْجُنَّانِ فِي جَنَابَاتِهَا
بَسِيطٌ كَرَجِيعِ الصَّدَى وَنَشِيدٌ

لا يجد الشاعر، إلا صيحات الاستعطف التي يرسلها، التي تجسد هول المكان، ووحدته، فالاستفهام (فمن) يستجد وحدته واغترابه فيبحث عن يشاركه معاناته، فهو

(١) الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري(دراسة اجتماعية نفسية) د.أحمد علي الفلاحي،

دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان_الأردن، ٢٠١٣م: ١٣٣

(٢)بواعث القلق ومظاهره في الشعر الأندلسي، عصر المرابطين(دراسة تحليلية)، أطروحة دكتوراه، عبدالله

عبد عبد العلي، إشراف أ.م نضال إبراهيم ياسين، جامعة البصرة، كلية التربية، قسم اللغة

العربية١٤٣٥هـ-٢٠١١م: ١٢٦

(٣) الخوف في الشعر الأموي، أطروحة دكتوراه، حسين محمد محمود عبيدات، إشراف أ.د. يونس

شنون، جامعة اليرموك، كلية الآداب، ٢٠١٢-٢٠١٣م: ٨٠

(٤)ديوان ابن شهيد: ١٠٠، (ق: ١٨)

وحيد في السجن، ويعاني أشكال التعذيب حتى غدا السجن كجمر الموت، وهم لا يهجعون قياماً قعوداً فالتضاد (قيام_قعود) يعبر عن حالة نفسية منقلبة أسبابها مختلفة بين خوف، وشوق، وقهر، فهذه الحركة ردة فعل لا إرادية لمخاوفه، ومبالغة في وصف هول المكان يشرك الطبيعة(الحيات)، فيسمع المتلقي فحيح الأفاعي التي تحيط في السجن، فيسمع صداها فنلتمس هنا إشارة إلى الوحدة المطبقة عليه التي تأتي داعمة لما ورد في شطر البيت الأوّل، فنسمع نبرة الحزن والخوف بالصورة السمعية، ونجد تكرار اسم الفاعل (مقيم) تعطي إشارة ليأسه فكأنه اتخذ السجن مقاماً له واستقر فيه، فلا يأمل الأفراج عنه، مما زاد من مخاوفه.

وغالبًا ما تختلط أحاسيس السجين بالإحساس بالموت، إذ يجد في السجن مصادرة للحياة؛ لذا كان يفزع كلما فتح باب السجن فيتخيل أنّ السجن سيقوده إلى الموت، وهذا ما رسمه ابن شهيد، قائلاً^(١):

وما اهتَزَّ بابُ السجنِ إلَّا تَفَطَّرْتُ قلوبٌ لنا خوفَ الردى وكبودُ
ولستُ بذى قيدٍ يرقُّ و إنَّما على اللّحظِ من سُخطِ الأمامِ قيودُ

اتخذت المعاناة جراحها على الشاعر، وجعلته في فزع مستمر من الموت المتوقع، الذي ويمزق قلبه ويحطمه كلّما اهتز باب السجن، وأكّد ذلك بأسلوب القصر الذي ابتداءً به، فأضافت الصورة الكنائية (تفطرت قلوب) عمقاً ومبالغة لحالة الهلع التي تصيهم، فلفظة (تفطرت) وحدها كفيّلة بالتعبير عن عظيم الخوف الذي أصاب قلوبهم، فالانفطار لا يصيب القلب إلا من أمر مخيف وآسي، كما أنّ حرف الروي (الذال المضمومة) جاءت سائدة لصورة الخوف والذي قدمها، فالذال حرف شدة، والضمّة أثقل الحركات الإعرابية، فجاءت تجسد ثقل وشدة اللحظات التي تمر عليه وهو في أسره، بالرغم من أنّه ليس مقيداً بالقيود داخل السجن كما يفعل مع غيره من السجناء، إلّا أنّ سلب حريته وغضب الملك عليه، هو القيد ذاته، فالقيد الذي يعانيه الشاعر قيد نفسي شكّلته نفسيته الجزعة ومعاناته.

(١)ديوان ابن شهيد: ١٠٠-١٠١، (ق: ١٨)

وبرزت لنا هذه المشاعر والحياة المثقلة في السجون جلياً في شعر ابن عمار، الذي تجرع مرارة الاعتقال أكثر من مرة، ومنها الاعتقال في سجون المعتمد بن عباد في إشبيلية، عاش خلاله لحظات قاتمة، تحت وطأة الأغلال والقيود، فأرهبه هول المكان، فطرق باب الاستعطاف؛ لأنه كان أمل الشعراء في الخلاص من السجن، والانطلاق إلى عالم الحرية من جديد^(١) فيكتب بقصيدة إلى الرشيد بن المعتمد، امتزجت فيها مشاعر الخوف بالأمل، والجزع بالاستعطاف، فنقل كل ما يختلج بنفسه، من مشاعر وأحاسيس في هذا الموقف الرهيب، قائلاً^(٢):

- ١- قُلْ لِبَرْقِ الغَمَامِ ظَاهِرٍ بَرِيدِي
قاصداً بالسَّلَامِ قَصْرَ الرَشِيدِ
- ٢- فَتَقَلَّبَ فِي جَوْهِ كَفَوَادِي
وَتَنَاشَرَ فِي صَخْنِهِ كَالْفَرِيدِ
- ٣- وَانْتَحَبَ فِي صَلَاصِلِ الرَّعْدِ تُحْكِي
ضَجَّتِي فِي سَلَسَلِي وَقَيُودِي

يبقى الاستعطاف ملاذ الشاعر الذي يبحث فيه عن الاطمئنان المفقود، فيكلف البرق في إرسال معاناته واستعطافه، و اختيار البرق؛ لما يُشكّل من سرعة فهو يتأمل سرعة وصل استعطافه، فهو العاجز الضعيف ينفاد لقيوده ويطلق زفرات أنينه؛ لكنّ اخرسته أصوات السلاسل والقيود، فوجد في أصوات الرعد تحاكي الأصوات المرعبة التي تصدرها السلاسل والقيود، ولا تعبّر الأبيات عن انفعال الشاعر فحسب؛ بل براعته ودقته في تصوير الخوف من صلاصل القيود، فتكرار أصوات الصفير _الصاد مرتين (صلاصل) والسين في قوله (سلاسل) _ أسهم في تكوين صورة سمعية صاخبة للحركة الشديدة الناجمة من صوت السلاسل زائداً على صوت الرعد؛ لكنّ أنين نفسه وضجته في محبسه قد فاقت أي صوت، وهذه الصورة توحي بحالة الخوف والرهبة التي تنتابه حال سماعه لأصوات القيود والسلاسل^(٣) وجاءت الصورة السمعية إفصاحاً عن عزلته النفسية

(١) ينظر: تجربة السجن في الشعر الأندلسي، رسالة ماجستير، رشا عبدالله الخطيب، إشراف، د.هاني

العمد، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٦: ٣٧

(٢) محمد بن عمار الأندلسي دراسة تحليلية أدبية تاريخية : د. صلاح خالص، مطبعة الهدى، بغداد،

١٩٥٧ : ٣٠٩، (ق: ٧٣)

(٣) الحياة والموت في شعر عصر الطوائف بالأندلس: فواز أحمد محمد صالح الطائي، دار غيداء،

عمان د.ط، ٢٠١٩م: ١٧٥

التي يعانيتها، و تكشف عن نفسٍ بائسةٍ مرتعبةٍ؛ لأنّه لكلّ صورةٍ شعريةٍ كيانٌ نفسيّ تقصح عنه، وواقع فني^(١) فضلاً عن أنّ (سلاسل وصلاصل) جاءت بصيغةٍ منتهى الجموع (فَعَالِل)؛ لتعضد دلالة الكثرة ودلالات الترهيب .

يواصل الشاعر تحشيد الصور المعبّرة عن وضعه المأساوي مجسداً رهبتة من السجن، قائلاً^(٢) :

- ٨- وأنا اليومُ تحت ظلِّ عقابٍ لقوةٍ مَحَوَّةِ الجناحِ صيود
٩- أتقيها بناظرٍ خافقٍ للحدِّ ظ مَرُوعٍ وخاطرٍ مَزُؤودٍ

تنصهر ذات الشاعر من الجزع والذل، فيخيل له أنّ السجنَ نسْرَ العقابِ، حاولَ الانقضاض عليه، وفي المقابل هو فريسة ضعيفة تبارزه بنظرة الخائف، فأسقط الشاعر مشاعره في الصورة البصرية الحركية والسمعية (مخوت الجناح صيود)، وذلك على سبيل الاستعارة، فالصورة البصرية تتجسد في مشهد العقاب الذي ينقض على فريسته، والصورة السمعية تظهر في الأصوات التي تصدر أثناء محاولتها افتراسه، فهذه الأصوات هي استعارة لأصوات السلاسل والقيود، والعقاب هو السجن، فاستغلَّ صورة طائر العقاب وما فيها من رموز ومزج بين صفات الإنسان والحيوان في تصويره للخوف^(٣) من القتل في السجن وذلك؛ لأنَّ الصبغة النفسية هي التي تحكم العمل الأدبي في المقام الأول، وبهذا تتكشف في الصورة التفاصيل النفسية التي أسهمت في إبداعها^(٤).

ويبرز صوته المغلوب الخائف بضمير المتكلم (أنا) واقترن في الأبيات دائماً؛ بالاضطراب والخوف وواقعه المزري، فضلاً عن أنّ اسم المفعول (مروع، مزؤود) أكدَّ

(١) الخيال مفهومه ووظائفه، د. عاطف جودة نصر، د.ط، ١٩٨٤م: ٢٦٢

(٢) محمد ابن عمار دراسة تاريخية أدبية: ٣١٠، (ق، ٧٣)

(٣) ينظر: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عهد الطوائف والمرابطين: د. حازم عبدالله خضر، دار

الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ١٩٨٧م: ٢٢١

(٤) ينظر: الصورة الشعرية عند خليل حاوي، هدية جمعة البيطار، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط١،

وقوع الرعب، والذعر في نفسه وثباته، وذلك؛ لدلالته على (الحدوث والثبوت)^(١) فكانت لغة الشاعر طوعاً لمشاعره.

و لم يتهاون المعتمد في تصوير أدق التفاصيل المثيرة للرعب، فوصف الحشرات السامة التي أربعته وأسلمت عينه إلى السهر، ثم عاتب الأيام بنغمٍ شجيٍّ؛ لما رمته به، ويلجأ ليستغفر الله فهو رجاؤه الوحيد وأمله، قائلاً^(٢) :

- ٧- ويا عقاربها لا تعدمي أبداً
شجاً وعقرًا ولا نوعاً من الضّرر
٨- كما ملأتنّ قلبي مذ حلت بها
مخافةً أسلمت عيني إلى السهر
٩- ماذا رمتك به الأيام يا كيدي
من نبلهنّ ولا رام سوى القدر
١٠- أسرّ و عسرّ ولا يسرّ أوأمّهُ
أستغفر الله كمّ الله من نظر

فبعد أن سئم الشاعر من السجن وغربته، لم يجد من يشاركه آلامه، فيخاطب الطبيعة الحية ممثلةً بالعقارب والحشرات المحيطة بالسجن؛ ليُشركها في توصيف شعوره ونقله، فيأتي حرف النداء الطويل (يا) مجسداً ومستوعباً لمشاعره التي امتزجت فيها مشاعر الحسرة والخوف، ليأتي النفي (لا تعدمي) كاشفاً عن استسلام الشاعر وقهره، وخرج النفي هنا لغاية بلاغية هي التعبير عن تضجره من واقعه، واعتمد ملمحاً بلاغياً وهو (التشخيص) من خلال إضفاء صفات إنسانية للحشرات، تكشف مقدار الوحدة التي يعانيتها، فيشخص من الحشرات إنساناً، وربما تكون هذه العقارب رمزاً لحرس السجن ولا يقصد بها العقارب الحقيقية، وعلى أي حال كانت هذه العقارب مصدر خوف للمعتمد، حتى حرّمته النوم، ويعترف صراحة بذلك من خلال (مخافة) وخوفه هنا مبرر؛ لأنه يعيش تجربة السجن بكل تفاصيلها وباعث الخوف معلوم، فعكست مشاعر الخوف لا القلق، وفجر الموقف المريب في السجن انفعالاته حتى أبرزها من خلال لغته وأسلوبه، ف (مخافة) جاءت بصيغة المصدر لتوحي بثبات الخوف واستقراره في فؤاده، ويأتي الاستفهام (ماذا) معمقاً للتأزم النفسي فخرج للتحسر، ملقي لومه على الأيام فهي من

(١) معاني الأبنية في العربية، د. فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، ط٢، ٢٠٠٧م: ٥٢

(٢) ديوان المعتمد بن العباد ملك إشبيلية، جمعه وحققه: د. حامد عبد المجيد، و د. أحمد أحمد بدوي،

راجعه: د. طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ١٠٠

أوصلته لهذا، فهذه السمات البلاغية والأسلوبية فرضتها حالته النفسية، ويجسد من الأيام شيئاً محسوساً أو آلة حربية ترمي نبلها نحوه، والرامي هو القدر، واستعان الشاعر بالبحر البسيط المخبون التفعيلة ؛ ليعبر عن انفعالاته النفسية المضطربة فهو بحرٌ متناغم بنغماته ارتفاعاً وانخفاضاً فهذه الحركة تدل على توتر الشاعر واضطرابه نتيجة للخوف؛ فكل ما في السجن مريب، فضلا عن دخول زحاف الخبن الذي هو ((حذف الثاني الساكن))^(١) فحذف السكّنات يزيد من الحركة وتقل الهدوء فحذف السكون يكشف توتر الشاعر، وافتقاده للسكون النفسي، ويأتي الانسجام الصوتي عبر الجناس بين (أسر- عسر-يسر) كاشفاً عن ثقل اللحظة التي يعيشها بين أسر وعسر من غير فرج، فهذا الانسجام يجذب المتلقي ليشركه شعوره بالخوف والضعف، ثم يبرز الجانب الديني فيلجأ للاستغفار لعلّ الله تعالى يفرج كربته، فالدعاء والاستغفار يأتي كمعادل معنوي لحالة الخوف.

ويصف ابن حزم (ت ٤٦٥هـ) معاناته في السجن، وقد تكالبت عليه مشاعر الشوق للأهل،، واللوعة والحزن لسلب حرّيته، والفرح من وضعه داخل السجن، مصوراً نفسه، باكية العينان، امتلأت أضلعه، وقلبه بنار الحزن، والخوف فضاقت عليه، كثير من الهموم، بعيداً عن الأهل، مفزعاً، يطلق زفراته المنبعثة من قلبه الملهب فيذوب لها قاسي الحديد، قائلاً^(٢) :

- | | |
|--|--|
| ١- مُسَهَّدُ الْقَلْبِ فِي خَدَيْهِ أَدْمُعُهُ | قَدْ طَالَمَا شَرِقَتْ بِالْوَجْدِ أَضْلَعُهُ |
| ٢- دَانِي الْهَمُومِ بَعِيدُ الدَّارِ نَارُهَا | رَجَعَ الْأَنِينِ سَكِيبُ الدَّمْعِ مُفْرَعُهُ |
| ٣- يَاوَى إِلَى زُفْرَاتٍ لَوْ يَبَاشِرُهَا | قَاسِي الْحَدِيدِ فُوقًا ذَابَ أَجْمَعُهُ |

أصدق طريقة للتعبير عما يختلج نفوسنا ترك مشاعرنا وانفعالاتنا تسترسل في وصف نفسها، و الشاعر أسلم التعبير لانفعالاته، فجاءت الأبيات صورة قاتمة لنفسه الجزعة، فقد

(١) علم العروض والقافية، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت_ لبنان، د.ط، ١٤٠٧هـ-

١٩٨٧م: ١٧٢

(٢) ديوان ابن حزم الأندلسي، جمع وتحقيق: د. عبدالعزيز عتيق، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ-

٢٠١٠م: ١٠٠

أفضت تجربة السجن بالشاعر إلى بث لواعج معاناته، فالصورة الاستعارية (شرقت بالوجد أضلعه) فضلاً عن اللمسة الفنية فقد بالغت في توصيف حرارة الشوق والوجد، كما أن الصورة في البيت الأخير جعلت المتلقي يشعر بحرقة فنار قلبه الخارجة مع زفراته أذابت الحديد لحرارتها، فقد عبّر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعاني الذهنية والحالة النفسية^(١) كما إن تكرار ضمير الغائب (الهاء) العائد إلى الشاعر جاء؛ ليؤكد تعلق هذه الانفعالات به، ووظف قافية الهاء، والهاء المطلقة تعطي امتداداً صوتياً واسعاً يتمكن من حمل شعوره النفسي وحالته الوجدانية، فضلاً عن إنها حرف رخو يناسب حالة الفرع والضعف الذي تتنابه.

والشاعر عبد الملك الحجاري (ت ٤٥٤هـ) الذي أربعه السجن، فأخذ يركز في أبياته على وصف السجن، وما يحمله من دلالات سلبية، فنفسه تختنق وتكاد تموت وهي مرتمية في ذلك المكان الضيق، فمن شدة تأزمه النفسي يشبه السجن بالقبر، قائلاً^(٢) :

- ١ - فذيتك هل لي منك رحمة لعني
 - ٢ - وليس عقاب المذنبين بمنكر
 - ٣ - ومن عجب قول الغداة مثقل
- أفارق قبراً في الحياة فأنشر
ولكن نواً السخط والعتب ينكر
ومثلي في إحاجه الدهنر يغدر

فالشاعر عبّر عن رهبته من السجن من خلال تشبيهه بالقبر، وما استحضار هذه الصورة إلا ليبين لنا ما تحمله نفسه من دلالات سلبية تجاه هذا المكان، المليء بالخوف والوحدة، فهذا التشبيه يرجف القلوب ويجعله في مشهد تصويري مرعب، لذا جاء بـ(لعل) ليؤكد رغبته ورجائه في الخلاص من هذا المكان المرعب، وسبقت (لعل) بالاستفهام الذي خرج للطلب على وجه الاسترحام ويستعطف سجانته ويعاتبه بأن استمرار غضبه وسخطه عليه ينكر، فجاء بالجناس (منكر_ينكر)؛ إذ لهذا الجناس الأثر الكبير في تجسيد ظلم

(١) التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة_ مصر، ط الشرعية ١٧،

١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ٣٦

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: الشيخ أحمد محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق:

د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م: ٣/ ٤٢٤ .

سجانه الذي أطال عقوبته، كما استطاع أن يشد المتلقي إلى الأبيات فيؤثر في عقله ومشاعره .

ثالثاً: الخوف من الطلل:

وقد وقف والشعراء الأندلسيين على الطلل وقفة حقيقية نظراً؛ لأن كثيراً من المدن الأندلسية قد خربت- بفعل الحروب والفتن، أو وقفة خيال، وصور ورؤى شعرية ، وتغنوا بعذابات النفس أمام مشاهد الخرائب والعدم ، وذهاب الحركة والحياة (١) ف((ظلت تلك الديار والأماكن شاهداً حسيّاً على متغيرات تلك الحياة الإنسانية التي أصابها الدمار وحلّ بها الخراب وذهب سكانها الأبرياء)) (٢) ومن هنا تولد الخوف من الطلل.

ومِمَّا أثار مشاعر الحزن والخوف من الطلل، أنهم رأوا فيه رمزاً للحياة والعدم وصورة لتقدم الزمن الذي نزع الحياة من هذه الأماكن وصارت مبعثاً للخوف بعد أن خُليت من أهلها، فضلاً عن أنّ الشعراء وجدوا فيها صورة لمرحلة الشباب والشيوخة .

وابن شهيد يتحسر على معاهد الصبا، إذ مرَّ بها فوجدها خلاء، يذعر منها المارين فتذكر أيام الصبا، فهاج به الشوق والوجد فتفجرت دموعه في الانصباب والسيلان، فيقول (٣) :

- | | |
|--|--|
| ١- هَاتِيكَ دَارُهُمْ فَحِيفَ بَمَعَانِيهَا | تَجِدِ الدُّمُوعُ تَجِدُ فِي هَمَلَانِيهَا |
| ٢- عَجْنَا الرِّكَابَ بِهَا فَهَيْجَ وَجَدْنَا | بِمَنْ ذَعْرَنَ السَّرْبِ مِنْ إِذْمَانِيهَا |
| ٣- دَارَ عَهْدَتْ بِهَا الصَّبَا لِي دَوْحَةً | أَتْفِيأَ الْفَرَاحَاتِ مِنْ أَفْنَانِيهَا |

(١) ينظر: الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي، فوزية عبدالله محمد العقيلي، إشراف أ.د. محمد محمد أبو موسى، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م: ٢٣٥

(٢) المكان في الشعر الأندلسي (من الفتح حتى سقوط الخلافة)، د.محمد عبيد السبهاني، دار غيداء، عمان -الأردن، د.ط، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م: ٨٨

(٣) ديوان ابن شهيد: ١٦٥، (ق: ٦٨)

اعتصم قلب الشاعر خوف الحزن، إذ مرّ بالديار فانهملت الدموع في جريانها، ووظّف الجناس (تجد) بمعنى تشاهد أو ترى و(تجد) بمعنى تكثر ، فأراد أن يجذب المتلقي للشجن والحزن الذي انتابه بالموقوف من الديار، وأحدث وقعا ممتداً في نفس الشاعر((ومن هنا تأتي مهمة الشاعر في المزج والجمع بين العناصر المتباعدة وتحقيق الوحدة فيها من خلال عاطفته وإحساسه))^(١) كما حققت انسجاماً موسيقياً فضلاً عن التصريح في البيت (بمعانيها- هملانها) فيحرك الصورة أكثر فيذكر الركاب الذي مرّ به ، فذعر المارين من وحشة الدمن، فقد تحولت هذه الديار لرمز للخوف والنفور منها، وقف الشاعر بعد ذلك بالطلل وقوفه على مرآة نفسه، فتطوف به ذكريات الصبا ، مقلّباً بها صفحات ماضيه ، فهذه الذكريات الجميلة التي بقيت من الديار هي التي ينشدها الشاعر ويستجديها مشبهاً بالشجرة التي يستظل بأغصانها وتبعث الفرح في نفسه، وقد حمل الطلل دلالتين نفسييتين متضادتين : الأولى: حالة الخوف والذعر التي تبعثها هذه الدمن بعد خلائها من البشر وتبدّل حالها، يقابلها بحالة الفرح التي تبعثها حيث يتذكر بها أيام صباه التي تسعد نفسه، حين يصبح أحياناً استدعاء الماضي إحدى ضرورات التعزي لدى الشاعر عن آلام حاضره؛ لأنّ حديث الذكريات قد ينتشله من كآبة واقعه المرير فيتجاوز خوفه وضغوطه^(٢).

والشاعر يقف في الطلل معتبراً للحياة الزاهية والأيام الغابرة، فيصور كيف تبدّلت أحوالهم، والإيبيري يدعو إلى الوقوف على طلل السابقين والملوك وأخذ العبرة منهم، ويدعوهم إلى الحذر عند المرور بالطلل فقد انمحت معالمها، وأصبحت محلاً للوحش، بعد أن كانت تزهو بأهلها، فيقول^(٣) :

٢٣ - وَطَفِ الْبِلَادَ لَكِي تَرَى آثَارَ مَنْ قَدْ كَانَ يَمْلِكُهَا مِنْ الْأَقْيَالِ

(١) قصيدة المديح في الأندلس، -قضاياها الموضوعية والفنية- عصر لطوائف: د أشرف محمود

نجا: ٢٢٧

(٢) ينظر: الموقف النفسي عند شعراء المعلقات : د. مي يوسف خليف، دار غريب، القاهرة- مصر، د.

ط، د.ت: ٤٢

(٣) ديوان الإيبيري: ٤١

- ٢٤- عَصَفَتْ بِهِمْ رِيحُ الرَّدَى فَذَرَتْهُمْ ذَرَوُ الرِّيَاحِ الهُوجَ حِجْفُ رِمَالِ
 ٢٦- واحبسن قَلْوَصَك سَاعَةً بَطْلُولِهِمْ واحذرنَ عَلَيْكَ بِهَا مِنَ الأَغْوَالِ
 ٢٧- فَلَكُمْ بِهَا مِنْ أَرْقَمٍ صِلِّ وَكَمْ قَدْ كَانَ فِيهَا مِنْ مَهَاً وَعْزَالِ

الشاعر هنا لا يبكي ويندب الطلل كما عهدناه لدى الشعراء، وإنما وقف يتأمل ما حلَّ بها ويدعو إلى أخذ العبرة منها، فيجعل من عفاء الديار درساً ، ويأتي تكرار أسلوب الأمر مناسباً (طف، احبس، احذر) فجسد أسلوب الأمر الحذر والخوف الذي انتابه خلال مروره بهذه الديار فأراد تني المتلقي عنها؛ لأنها لم تعد مواطن إنس فقد أصبحت مرتع للأغوال والأفاعي بعدما عصفت بهم رياح الفتن والحروب، فقولته(عصفت بيهم ريح الردى) كناية عن عن الحروب والفتن التي نزلت بهذه المدن.

والشاعر عندما ((يقف الديار ، ويحيل نظراته في أنحائها ويرى بقاياها البالية المهجورة تغالب الفناء، وتظل قائمة تثور في نفسه الذكرى))^(١) فيقف يقارن بين موقفين : الأول حاضر هذه المعاهد والمدن التي أصبحت خلاء تجوبها الأفاعي وغدت باعثاً للخوف والنفور منها ، والموقف الثاني ماضي هذه الديار التي كانت عامرة بأهلها وبالغزلان والمها وهي استعارة ويقصد بها النساء الحسنات، وأحدث هذا تداخل بين الماضي والحاضر، لعلّ استذكار الماضي يخفف وطأة الحاضر ويسكن مخاوفه، فتجسد خوف الشاعر في الموقف الأول وتصويره لحال هذا الطلل، وصور اللحظة الحاضرة وتقلها ب(فكم بها من أرقم) وهي تعطي إشارة إلى مجموعة كبيرة من الأفاعي التي أصبحت هذه المنازل مسكناً لها مما يبعث الرعب والنفور عنها، ويقابلها (وكم كان فيها من مها..) وهي تعطي صورة عن الاطمئنان والحياة الزاهية التي ولت وولى معها الأمن .

وراع الطلل ابن خفاجة إذا وجد فيها تحكي تحول شبابه إلى الشبخوخة ، فأفزره موت الأحبة وفناء ديارهم، فوقف يندب معاهد الشباب ويتألم لموت الأحياب أثر سيل

(١) شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليلية، د.عزة حسن،

عفا الديار^(١)، فصور لحظة وقوفه وما راوده من انفعالات في أبيات مفعمة بالأحاسيس الحادة و العاطفة الجياشة، قائلاً^(٢) :

- | | |
|---|---|
| ١- أَلَا عَرَسَ الْإِخْوَانُ فِي سَاحَةِ الْبَلَى | وَمَا رَفَعُوا عَيْرَ الْقُبُورِ قِبَاباً |
| ٢- فَدَمَعَ كَمَا سَحَّ الْغَمَامُ وَلَوْعَةً | كَمَا ضَرَمَتْ رِيحَ الشَّمَالِ شِهَاباً |
| ٣- إِذَا اسْتَوْقَفْتَنِي فِي الدِّيَارِ عَشِيَّةً | تَلَدَّدْتُ فِيهَا جَيْئَةً وَذَهَاباً |
| ٤- أَكْثَرَ بِطَرْفِي فِي مَعَاهِدِ فِتْيَةٍ | ثَكَلْتُهُمْ بِيضَ الْوُجُوهِ شَبَاباً |
| ٥- فَطَالَ وَقُوفِي بَيْنَ وَجْدٍ وَزَفْرَةٍ | أُنَادِي رُسُومًا لَا تُحِيرُ جَوَاباً |
| ٦- وَقَدْ دَرَسْتُ أَجْسَامَهُمْ وَدِيَارَهُمْ | فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَقْبُرًا وَيَبَاباً |
| ٧- وَحَسْبِي شَجْواً أَنْ أَرَى الدَّارَ بَلْقَعاً ^(٣) | خَلَاءً وَأَشْلَاءَ الصَّدِيقِ تُرَاباً |

تتزامم الانفعالات وتتعالى في هذه الأبيات، معبرة عن العاطفة الأليمة الجزعة من فكرة الفناء والموت التي تجسدت في الطلل ، فيستهل الأبيات ب (ألا) الخطابية التي يريد من خلالها تنبيه المتلقي وجذبه إلى المصاب الجلل وهو موت الرفاق واندثار منازلهم، فبؤرة الخوف في النص هي فكرة الفناء ووقوفه على الطلل آثار المشاعر المرتعبة لديه، فسيتذكر الشاعر ماضي الديار والرفقة، وكيف تحول حاضرها إلى قبور وبقايا آثار فيرتعب من اندثار وفناء هذه الديار وأهلها متخيلاً ما سيؤول إليه .

فالطلل هو رمز التحول من الماضي، ونقيض مباشر للحاضر، فالماضي دائم الحضور في الطلل بخلاف الحاضر الذي لا يتكشف جوهره إلا من خلال صدمه بالماضي المشرق^(٣) فالشاعر يلجأ في كل أبيات إلى الأسلوب الخبري التقريري الذي

(١) ينظر: التصوير بالتضاد في تجربة الفقد في الشعر الأندلسي، أ.د حميدة صالح البلداوي، و أفراح

علي عثمان، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، مج ٢٧، ع ٢٤، ٢٠١٦: ٤٧٨

(٢) ديوان ابن خفاجة: ١٧٧-١٧٨، (ق: ١٣٢)

(*) البلقع: الأرض الفقر التي لا شيء بها. لسان العرب: للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم

ابن منظور الأفرريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت: ٨ / ٢١.

(٣) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية

بالجزائر، ط ٣، ١٩٨٣م: ١٢١

يتماشى مع الذهول الذي أصابه لوقوفه في الديار، فيصف نفسه وقد وقف في حاضر هذه الديار بين وجد وجزع وزفرة ، واعتمد ملمحاً بلاغياً هو التشخيص، فشخص من الديار كائناتاً حياً ويخاطبها (أنادي رسوما لا تحير جواباً) ولكن لا تجيبه، وتشخيصه للمكان يدلُّ على عمق احساسه بمرارة الفقد، كما يطالعنا الطباق في قوله (أجسام -أقبراً) (الديار -البيابا) وهذا الطباق يجسد الماضي والحاضر ويقارن بينهما ونجد تكراراً بارزاً للأفعال الماضية وهذا يدلُّ على تعلقه الشديد بماضيه فوجد في الطلل محاكاة لمرحلة الشباب والشيخوخة ، فماضي هذه الديار يحيل الشاعر لمرحلة شبابه الذي فقده، ويخشى أن تكون شيخوخته ومستقبله كحال هذه الديار التي خطف الموت أصحابها وضعف عوده.

كما وقف الشاعر الأندلسي ((على أطلال مدينته الخربة التي هدمتها الفتنة أو أحرقتها الأعداء ، فهو يبكي كذلك عهود الحياة الهائلة السعيدة التي ولَّت بعد أن كان الشمل فيها مجتمعاً والعيش مطمئناً))^(١) فذكر الأطلال وندبها في القصيدة الأندلسية، لم يكن محض خيال فقط، بل كان نتاج المجتمع ، فالطلل كما ذهب إليه الدكتور يوسف اليوسف هو نتاج المجتمع وأنّ الوعي الاجتماعي هو الذي أفرز الطللية لتكون أبرز تجلياته التي يفيض بها صورته وهيئته الداخلية^(٢) فهو يعبر عن رؤية الشاعر وانفعالاته وواقعه، وهو حديث صادق لما يشعر به الشاعر أمام مدنه التي تحولت لخراب وتساقطت أمامه، فكان من الطبيعي أن يرهبه منظرها.

واتخذ الأندلسيون من هذه المدن رمزاً للطلل؛ وذلك للخراب الذي حلَّ بها وهاجرها أهلها، وخير شاهد على ذلك الفتنة القرطبية التي فتكت في المدينة، وتحول أمنها خوفاً وتبدلت قصورها طلالاً، فأثرت عاطفة الشعراء، فوقف عندها ابن شهيد يتحسر عليها

(١)الحياة والموت في الشعر الأندلسي: ١٤٩

(٢)ينظر: الطلل في النص العربي دراسة في الظاهرة الطللية مظهراً للرؤية العربية، سعد حسن كموني،

دار المنتخب العربي، بيروت -لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م: ٣٦

بعد أن أصبحت أطلالاً بدون أهلها، ولم يبق سوى الفراق والحسرة على تلك الديار، وخيم البؤس على أهلها وحلت بهم المصائب، فيقول (١):

- ١- مَا فِي الطُّلُولِ مِنَ الْأَحِبَّةِ مُخْبِرٌ
 ٢- لَا تَسْأَلَنَّ سِوَى الْفِرَاقِ فَإِنَّهُ
 ٣- جَارَ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ فَتَفَرَّقُوا
 ٤- جَرَّتِ الْخُطُوبُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ
 ٥- فَدَعِ الزَّمَانَ يَصْنُوعُ فِي عَرَصَاتِهِمْ
 ٦- فَلَمِثْلِ قُرْطَبَةَ يَقِلُّ بِكَاءٍ مَنْ

....

- ١٨- يَاجِنَّةُ عَصَفْتُ بِهَا وَبِأَهْلِهَا
 ٢٠- كَانَتْ عَرَاصُكَ لِلْمَيْمِ مَكَّةً

تعتصر نفس الشاعر ألماً وحرزاً حين يقف بأطلال الأحبة فراح يجسد انفعالاته ومشاعره من خلال النفي المتبوع بالاستفهام الانكاري ، (مافي الطلول) (فمن الذي عن حالها) فهذا التساؤل جاء مخبراً عن حالة الخراب الذي صارت إليها المدينة لم يبق سوى الطلل ، فلا يريد إجابة عن سؤاله، إنما أراد التعبير عن الجزع والحزن الذي انتابه، ثم يوظف النهي (لا تسألن) للاستخبار فهو يريد أن يقول لم يبق سوى الفراق فغادروا أهلها، ويشخص الفراق ويجعله بشراً تسأله، ويواصل وصف ما حلّ بها، لينتهي لحقيقة مفادها مهما بكيث قرطبة فهو قليل وهذه مبالغة لحجم الكارثة التي حلت، واستطاع أن يرسم لنا صورة قرطبة الحزينة بعد أن كانت جنة الدنيا ومأوى الخائفين فعصفت بها الفتن والحروب وفرقت أهلها فيأسى عليها الشاعر .

والألفاظ (الفراق، انجدوا، باد، الخطوب، البكاء، منقطر، تدمرت، تدمروا، الخائفون)) هي مفعمة بالحزن والآلام وتلك الألفاظ جسدت خوف الشاعر وبعثت الريبة وجعلت الخوف يتغلغل في نفسه.

(١)ديوان ابن شهيد: ١٩٠-١١٠، (ق: ٢٢٦)

فهذا الطلل لم يعد ((شارة بارزة من حجارة، نوى وأثافي، وإثما صار الطلل في أغوار النفس شقوقاً وأخاديد يحترقها سيل الدهر احتقاراً فتتجسس منها الأحاسيس وقد اترعت حزناً وهماً))^(١)

والشاعر السميسر (٤٨٠هـ أو ٤٨٤هـ) هاله منظر مدينة الزهراء، بعد أن تحولت - المدينة المعروفة بجمالها - إلى دمار وخراب، فراح يبكيها، قائلاً^(٢) :

وَقَفْتُ بِالزَّهْرَاءِ مُسْتَعْبِرًا مَغْتَبِرًا أَنْدُبُ أُسْتَاتًا
فَقُلْتُ: يَا زَهْرًا أَلَا فَارِجِي قَالَتْ: وَهَلْ يَرْجِعُ مِنْ مَاتَا؟!
فَلَمْ أزلْ أَبْكِي وَأَبْكِي بِهَا هَيْهَاتَ يُغْنِي الدَّمْعُ هَيْهَاتَا

عبّر الشاعر عن هول الخطب من خلال عاطفته الحزينة تجاه هذا المكان، فجاءت الأبيات مفعمة بالدلالات الحزينة، وأول ما يطالعنا الجناس الناقص الذي جاء واصفاً حاله بين (مستعبراً/ معتبراً) ف(مستعبراً) تعني المنهمل دمه ولا يسمع بكائه، و(معتبراً) متأمل ومتدبر ما حلّ، فقد أضفى مسحة فنية على الحالة النفسية للشاعر فأسهم في جذب المتلقي للأبيات، وتلمس خوف الشاعر عن طريق لفظة (معتبراً) ، فالشاعر في حالة من التفكير والتأمل بعاقبة هذا الخرب فهو في خشية ورهبة مما سيؤول إليه مصير هذه المدن وأهلها.

ونحن بعد ذلك منحاً قصصياً من خلال أسلوب الحوار، معتمداً ملمحاً بلاغياً هو التشخيص، فيخاطبها طالباً منها أن تعود لسابق عهدها، فتظهر نفسيته المتشائمة المتيقنة لهول الخطب، بإجابة هذا الطلل هل يرجع من ماتا، ((ولا يقل الحوار أثراً في الكشف عن المستوى النفسي لمشهد الوقوف على أطلال الزهراء، فقد حول الحوار اللوحة

(١) فلسفة المكان في الشعر العربي، د. حبيب مونس، اتحاد الكتاب العرب، د. ط، د. ت: ١٦

(٢) السميسر حياته وشعره، د. حلمي إبراهيم الكيلاني، مجلة مؤتة، الأردن، مج/٧، ع/١، ١٤١٣هـ -

١٤٠: ١٣٢، (ق: ٧)

البكائية... إلى لوحة ناطقة^(١)) نطقت بما اختلج في نفسه من خوف و حزن من إمكانية عدم عودة هذه الديار لسابق عهدها، وشحن الأبيات بالألفاظ الدالة على الندب والحزن (مستعبرًا، أندب، أشناتنا، ماتا، أبكي) كما تكرر أن الفعل المضارع (أبكي) دلَّ على استمرار بكائه حزنًا وخوفًا لما حلَّ في الديار، والبكاء علامة من علامات الخوف.

الخوف من الصحراء:

الأندلس بلاد ذات طبيعة خلابة تحيطها البحار من ثلاثة جهات، والأماكن الصحراوي فيها تكاد تكون معدومة، لكن هذا لا يمنع أن يكون للصحاري والقفار حضور في الشعر الأندلسي، وأن تكون باعث للخوف، لاسيما أن الشعراء قطعوا القفار في رحلتهم إلى المغرب والمشرق العربي فصوروا ما واجههم من مخاطر ومخاوف خلال رحلتهم.

فتجسدت مشاهد الخوف في ظلمة الصحراء ووحشتها، فتُسمع في الفيافي عزيف الجنان، ودوي الرياح وعوي الذئاب^(٢)

فقال ابن خفاجة مصورًا الموقف المهيب الوحدة الموحشة في الصحراء، لا سيما عند اقترانها بالظلمة، فيقول^(٣) :

١ - وَ مَفَازَةٍ لَا نَجْمَ فِي ظُلْمَانِهَا يَسْرِي وَلَا فَلَكَ بِهَا دَوَارٌ

فابن دراج رسم صورة المفازة المظلمة، خالية حتى من الكواكب والنجوم، وهذه الصورة نابعة من نفسه الخائفة.

(١) الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف، فدوى عبد الرحيم قاسم، إشراف: د. وائل أبو صالح، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، أيار ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ١٩١

(٢) ينظر: الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، فوزية عبدالله محمد العقيلي، إشراف: أ.د. محمد محمد أبو موسى، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ٢٨٧.

(٣) ديوان ابن خفاجة: ٨٦، (ق: ٤٧)

وفي أبيات أخرى خيّل له أن الصحراء هي الموت، وهو كرة تلعب بها أيدي الصحراء، فيقول: (١)

٣٩ - مُتَرَدِّدًا يَرْمِي بِهِ خَوْفُ الرَّدَى كُرَةً تَهَادَهَا أَكْفُ قِفَارٍ

عبّر الشاعر عن حالة الخوف التي تنتابه بسبب الموت، بالكرة غير المستقرة تهادها أكف القفار " فاستعان بالصورة الاستعارية المركبة، مشدّهاً نفسه بالكرة، والقفار بالكائن حي الذي يرمي به بين الصحاري، وهي صورة توحى بالخوف والقلق الذي اعترى الشاعر خلال رحلته في الصحراء.

ابن حمديس الصقلي يراوده الخوف عندما فكر بالرحيل عن الأندلس، والانتقال إلى بلاد المغرب، فمثّلت له الصحراء مبعثاً للفرح، فرسم صورة هذه الرحلة، قائلاً (٢):

١٧ - وَأَجْرَى سَفِينِ الْبَرِّ فِي لُجِّ زَيْبِقٍ مِنْ الْآلِ هَزَّتْ جَانِبِيهِ جَنُوبٍ

.....

٢١ - وَمَشْحُونَةٌ بِالْخَوْفِ لَا أَمْنَ عِنْدَهَا كَأَنَّكَ فِيهَا حَيْثُ سَرْتِ مُرِيبٍ

٢٢ - كَأَنَّكَ فِي ذَنْبٍ عَظِيمٍ بِقَطْعِهَا فَأَنْتَ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْهُ تَتُوبُ

فالبلاذ التي سافر إليها ابن حمديس صحراوية لذا راوده الخوف من تلك البيداء، فاتكأ الشاعر على الطبيعة (البيداء)، لتجسيد مخاوفه من الغربة، فرسم لوحة تجسّد كل معاني الخوف والقلق، مستهلاً أبياته بالفعل الماضي (وأجرى)؛ ليفيد تحقيق حدوث مخاوفه في رحلته، ويصف فيها سير الجمال وسرعتها وكأنها زئبق من شدة سرعتها، وهذه السرعة يتجلّى منها دلالة نفسية، وهي أنّ هذه السرعة تناسب ما عاشه الشاعر من تزايد وتسارع في دقات القلب نتيجة للمخاوف التي تلهج في قلبه، واسترسل الحديث عن البيداء وهو مكان مكلل بالمخاوف لا أمن فيها، فلفظة " مشحونة" التي تصدرت البيت الثاني دلّت على تعدد وتنوّع أشكال الخوف من الحيوانات المفترسة وندرة الماء، وامتداد

(١) ديوان ابن خفاجة: ٣٦ (ق: ٢)

(٢) ديوان ابن حمديس: ٣٩، (ق: ٢٩)

الأرض ومشاق السفر فهو مكان مليء بالمفاجآت^(١)، وكل هذا يشكل مصادر خوفٍ وقرع للشاعر، وقد عكس التشبيه الضمني ما في نفسه من ذعر، فشبّه حالة خوفه وهو في الصحراء، بالمذنب الذي ارتكب ذنباً كبيراً هو مفرج يريد التوبة إلى الله تعالى، فهذه الصورة أيضاً تعضد دلالات الخوف؛ لأنّ أشد ما يخشاه الإنسان المؤمن هي الذنوب؛ لأنّها السبب في غضب الله تعالى عليه، فيسعون للتوبة والتكفير عن ذنوبهم، ففي هذا الوصف بين أنّه وصل أقصى درجات الخوف، ونلاحظ أنّ الشاعر عمد إلى أسلوب المُخاطَب، من خلال تكرار ضمير الخطاب(الكاف)، فأراد من المتلقي أن يشاركه أحزانه ومخاوفه واعتراجه.

والملاحظ أنّ الشاعر نظم الأبيات على البحر الطويل (فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ فَاعِيلُنْ) وهذه التفعيلات تتميز بالجزالة والقوة، بما يناسب شدة مخاوفه وقوة المخاطر، فضلاً عن الامتداد الواسع الذي يعطيه فيتسع للكثير من المعاني^(٢) فاستوعب انفعالاته المتهيجة.

الخاتمة :

١. تبين لنا أنّ شعر الخوف عامة لم يشكل غرضاً أو موضوعاً مستقلاً، بل جاء مبنوئاً في الأغراض الشعرية
٢. للمكان حضور قوي وفاعل في النفس الإنسانية، يثير فيها انفعالات نفسية خانقة عكسها الشاعر في أشعاره
٣. يتّضح مما تقدم أن خوفهم من القبر نابع من نظرة دينية وملتصلاً بما ورد في الدين الإسلامي عن حياة القبر، لذلك جاءت أشعارهم حافلة بالصور والمعاني المقتبسة من القرآن الكريم.

(١) ينظر: بواعث القلق في الشعر الأندلسي : ١١٥

(٢) ينظر: أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- مصر، ط ١٠، ١٩٩٤م:

٤. ونستخلص مما تقدم أنّ السجن شكّل موقفاً عدائياً مرعباً لدى شاعر القرن الخامس، ورسّم الخوف على وجوه سجنائه؛ لذا نجده يتقلب فتارة يبكي لسلب حريته، وتارة يستعطف، وتارة يرسم مشاعره وانفعالاته الخائفة، وتارة يصف هول المكان، واتكأ على بلاغة التشخيص والتجسيد من خلال محاورة القيود تخفيفاً عن مخاوفهم.
٥. كان الطلل صورة لأحوال النفس التي عانت من تقلب الزمان، فيتضح أنّ الأطلال كانت تثير مخاوفهم بوصفها أماكن مهجورة، وتجسد معاني الذهاب وأيضاً بوصفها رمزاً لتقلب الزمان وتبدّل أحوالهم فولدت لديهم خوفاً من المستقبل فعبارات البكاء والندب والدموع التي وجدناها هي تحاكي لهيب نفوسهم المرتعبة.
٦. وتوضح عن طريق الشعر أنه ظهر خوف من نوعين من الطلل، الطلل التقليدي الأماكن القفر وكثيراً ما كان ذكرها والتخوف منها ليس على السبيل الحقيقة بل كان حديثهم عن الطلل تجسيداً لمشاعرهم الخائفة؛ لأنهم وجدوا فيها محاكاة لمرحلة الشباب والشيخوخة، والموت والحياة، والطلل الحقيقي وهي انقراض مدنهم التي خربتها الفتن.

Fear of place, in Andalusian poetry - The fifth century. AH

Raghda Basman Al-Saygh *

Fawaz Ahmed Mohamed **

Abstract

Fear is one of the most important manifestations, that afflicts the human self. Any self is not without this feeling, so fear had its abundant poetic space, and the Andalusian poet took care of this emotional obsession. Religious fear was at the top of the poet's fears, as the religious aspect had a great influence in igniting fear in the hearts and poems of Andalusians. How not!, The Islamic doctrine calls for fear of God and fear of the Day of Resurrection, and God obliged people to fear Him, and forbade them to fear others. The poets complied to this call, and stood by it. They pictured its appearances and goals, but there is no exaggeration when we say: They embodied him alive, even to the extent that it moves in the selfs of the listener.

The research focused on:

- 1- Tracing the evidence of the religious fear of the poets of the fifth century, and revealing the ability of poetry to draw the details of the human soul in its fear and reverence.
- 2- Finding the extent of the poet's ability to use language methods and poetic images in expressing fear and conveying it to the recipient.

Key words: Fear of place, Fear of the grave ,Fear of prison.

* PhD student/Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.

** Lect/Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.